شذرات

اغناطيوس غويدي ، المستشرق الايطالي الكبير ١٨٤٤ ــ ١٩٣٥

في ١٨ نيسان من هذا العام ، يوم خميس الاسرار ، نعت الصحافة فقيد العلم والفضيلة وشيخ المستشرقين اغناطيوس غويدي ، صاحب المؤلفات والنشرات العديدة المختصة بالعلوم واللغات الشرقية ، لاسيما العربية والسريانية والحبشية . مات في السنة التسعين من عمره بعد ان قضى حياة بارة مزدانة بالاعمال الحميدة ، العائدة بالفخر على آله وبلاده وعلى المسيحية جمعاء .

وُلد في رومة من أسرة عريقة بالنسب اشتهر رجالها بخدمتهم البلاد والكنيسة والعلوم . عُهد اليه بتعليم اللغة العربية واللغات السامية المقابلة ، في جامعة رومة . ومنذ ١٨٨٥ ، أُقيم معلّم تاريخ الحبشة ولغتها ، الى ان بلغ عمر التقاعد ، فاقيل من منصبه ١٩١٩ ، وكان قد تعيّن عضواً في مجلس الشورى ١٩١٤ .

وصفت الصحافة الايطالية معارف هذا الرجل واعماله فاديمت[1] . اتقن اللغة العبرية القديمة والحديثة ، واللغة الكلدانية ، والآرامية ، واللغة العربية الشمالية ، والجنوبية المسماة « حميرية » ، والفارسية ، والتركية ، فيما لها من علاقات مع اللغات السامية ، والقبطية ، والارمنية ، والاشورية ، والبابلية ، والحبشية القديمة والحديثة . واضاف الى ذلك ثقافة واسعة في علم التاريخ والجغرافية وقراءة الآثار والنقود . وكتب باللغات الاوربية : الالمانية ، والافرنسية ، والانكليزية ، واللاتينية ، فضلاً عن الايطالية لغته . وقرأ الروسية ، والهولندية ، وغيرهما من اللغات الحديثة . اما اليونانية فعرفها معرفة مكّنته من تلاوة الشعر التمثيلي القديم استظهاراً ، وهو في آخر ايامه .

قلّ اقل من ان ننحني لذكرى هذا الرجل الكبير ، ومن ان نسرد لائحة اهم مؤلفاته التي خدم بها البشرية عامة ، وشرقنا خاصة ، فنفيه حقه باعجابنا

(1) Giuseppe Gabrieli, *Ignazio Guidi : il Nestor degli Orientalisti d'Italia.* *Il Giornal d'Italia*, 21 aprile XIII.

وشكرنا،ونوّدي لتاريخ الثقافة الشرقية صحيفةً سطرتها حياته الطويلة الخصبة.

***

خصّ جورجي دلّا ڤيدا الفقيد الكريم بمقال نشرته مجلة « الاورينته مودرنو »[1]، ونظر فيه الى النواحي الثلاث التي ظهر فيها اجتهاد غويدي وهي الآداب العربية الاسلامية، والآداب المسيحية الشرقية، واللغة والتاريخ والآداب الحبشية، ومنه ملخص كلامنا في الناحيتين الاوليين.

١ الآداب العربية الاسلامية

حصّل غويدي اللغة العربية تحصيلاً علمياً كما يحصّله الافرنج، وذلك في درس الفراماطيق بالمقابلة بين زمانه الحاضر والغابر، وتضلّع من العربية الفصحى والعامية، باتصاله برجال الاكليروس الماروني، المقيمين في رومة، واخصهم الاباتي جبرائيل القرداحي صديقه الحميم.

قبض غويدي على ناصية العربية بيد مكّنته من التحرير نثرًا ونظماً فصارت له آلةً استعان بها في التفتيش عن النصوص القديمة وقراءتها وتفسيرها وطبعها، فبرز فارساً في ميدان النشر العلمي لم يسبقه مسابق، واول ما اتاه شاهداً على مقدرته في الشرح والتعليق كتاب « كليلة ودمنة »، اكتشفه في جزء من كتاب ايطالي فنشره، ثم نشر قصيدة كعب بن زهير « بانت سعاد » لشارحها جمال الدين بن هشام، ثم كتاب « الاستدراك » لابي بكر الزبيدي، وكتاب « الفصل » لابن القوطيّة، وهي نصوص قديمة صعبة الجأته الى مراجعات تاريخية وادبية عديدة ليتمكن من ضبطها وتفسيرها والتعليق عليها.

ولم يكتفِ غويدي باتقان العربية بذاتها، بل درس علاقاتها باليونانية في المقال الذي وضعه مقابلاً بين تاريخ العربية وتاريخ اللاتينية.

هذه المطبوعات وغيرها هيأته للقيام بمشروع خطير، هو نشر تاريخ الطبري في جزءه المختص بالامويين في ٧٦٠ صفحة مكتظة بالوثائق القديمة الراقية الى القرن الاول والثاني للهجرة. ما اطيب لغتها وما اصعبها! اما غويدي

(١) Giorgio Levi Della Vida, *l'Opera orientalistica di Ignazio Guidi*; Oriente Moderno, Maggio 1935, p. 236 sqq.

فقد قوي على تذليل عقباتها والى نشره خيرة ما نُشر من تاريخ الطبري الضخم.

لم يتمكن غويدي من القيام بتلك الاعمال الا بالمطالعات الواسعة ، وهذه كانت في كتب لم تنشر النشر العلمي المقرّب موادّها الى القراء ، فنشر عن ساعد الجدّ ، واخذ يعالج الشعر القديم ، فوضع فهارس اشعار خزانة الادب ، وشرح شواهد الالفية ، وقام بوضع فهارس الاغاني الكبير ساعده بعضهم عليه، لكن كتابته كلها بيده ، وهو آية من آيات الصبر والجلد على العمل. ووضع غويدي فهرساً ثانياً للقوافي استنله من مطالعة ٤٠٠٠ صفحة من الاغاني.

وخدم العربية بوضعه لوائح المخطوطات الموجودة في بعض خزائن الكتب في ايطالية وبلغ به البحث الى التفتيش عن تاريخ مدينة روما ، مسقط رأسه ، اخذاً عن وصفها في النص السرياني من التاريخ المنسوب الى زكريا البليغ . فميّز بين ما وصل الينا عنها من الاخبار الصادقة ومن الاساطير ، فتعقب اثرها وبحث عن مصادرها بالعربية وعن كيفية بلوغها الينا. والقى في الجامعة المصرية محاضرات نشرت من ثم باسمه ، فكان مع غولدسيهر منبهاً الى درس المدنية العربية في نواحيها اللغوية والادبية والتاريخية والجغرافية.

لم يصرف غويدي همه الى الدروس الاسلامية شأنه الى الدروس المسيحية. ومع ذلك فقد قام بترجمة « المختصر في الفقه المالكي » لخليل بن اسحاق ، وعلّق عليه. وله في هذا الصنف مقالات.

وفي سنة ١٩٠٩ القى بالافرنسية اربع محاضرات على الجزيرة العربية في عهد الجاهلية ، وعلى تأثير السريان واليهود في تكوين البيئة التي نشأ فيها الاسلام. وكانت تلك المحاضرات وحياً لمن اتخذ مواضيعها فيما بعد مادّة توسع بها.

٢ الآداب المسيحية الشرقية

للمسيحيّة في الشرق حياة فكرية تختلف مع اختلاف البلاد واللغات ، وهي مع ذلك موحدة بالمشاكل او الدروس التي تشغلها اعني بها المجادلات اللاهوتية ، وتاريخ الانشقاقات ، وتعاقب رجال الاكليروس في المناصب الكنائسية . وان هذه الحياة الفكرية لها مقامها في تاريخ المسيحية العام ، ولا بدّ من الاهتمام بها . على ان معالجتها تضطر الى معرفة لغات عديدة تمكن من

الالمام بالمواضيع من سائر وجوهها ، وان معارف غويدي الواسعة وتضلعه من اللغات الشرقية اهلته ليكون خير عامل في ذلك الحقل الواسع . فجاء اسمه في سلسلة المؤلفين العظام الذين ساروا وبيدهم مصباح العلم فبددوا الظلمات . لقد يضيق بنا المقام في سرد لائحة النصوص العربية والسريانية والقبطية والحبشية التي نشرها في الشؤون المسيحية ، وحسبنا ان نذكر « قصة اصحاب الكهف » الشهيرة ، فقد طالع غويدي نصوصها في مختلف اللغات وقابل بينها وكشف اصلها . ونشر رسالة سمعان اسقف بيت ارشم على « الشهداء المسيحيين في جنوبي الجزيرة العربية » وساعد على تاريخ الموتوفيسية في تعريف رسالة فيلكسين المنبجي . وكتب في دخول التعليم اليوناني في سورية ، اخذاً عن « دستور مدرسة نصيبين » ، وكشف القناع عن نصوص باللغة القبطية ، تشهد له بطول الباع في تلك اللغة ايضاً . ومما استغله في ذلك الحقل الآثار الشرقية المسيحية كاعمال الشهيد يهوذا القورشي اسقف اورشليم .

اضف الى ذلك ابحاثه التاريخية الادبية ، ومنها درسه ترجمة الانجيل من الحبشية الى العربية ، فتح به للدارسين باباً جديداً دخل منه غيره واتسع من ثم نطاق الدروس الكنائسية الشرقية . ومن آثاره المقال في اعمال الرسل المكذوبة في نصوصها العربية والقبطية والحبشية ، والمقال في قانون الكنيسة القبطية ، ومقالات عديدة ورسائل في مواضيع واسعة من مؤلفات الآباء ، وسير القديسين ، واصول الليتورجيات . وادى مساعدته في نشر اعمال الشهداء بمجلداتها السبعة ، وفي نشر مجموعة مؤلفات الكتبة المسيحيين الشرقيين وغير ذلك .

***

هذا وصف وجيز لحياة طويلة نال فيها صاحبها من مواهب الرحمان وزنات عديدة تاجر بها وكان من الرابحين . لقد ذاع صيته بين علماء المشارقة ، فاشتهر بنبوغه وتواضعه ووداعته ، وصار قدوة لجملة الاقلام المجاهدين في سبيل العلم والحق .

الاب فردينان توتل اليسوعي